في هذه الصور انما هي صورة الامر والنهي لا حقيقتهما كما اوضحناه بتعليق الفرائد
فان قيل مامور السلطان يبادر الى المامور به معللا بانه مراد السلطان
قلنا لا مطلقا بل اذا ظهرت امارة الارادة وانما يعلل مطلقا بالامر
والاشارة الحكم الرابع لو كان الكفر مرادا لله تعالى لكان طاعة لان
معناها تحصيل مراد المطاع لدوران سمه وجودا وعدما ورد بالمنع
بل هي موافقة الامر وانما يرد ورسمه علامة الارادة ولم نقلها الخامس
لو كان مرادا لكان قضاء يجب الرضى به واللازم منه وبطلان اللازم اجماع
ورد بانه مقضي لا قضاء ووجوب الرضى انما هو بالقضاء دون المقضي
ودعوى ان المراد بالقضاء الواجب الرضى به هو المقضي من المحن والبلايا
والرزايا لا الصفة الذاتية لله تعالى تحتمه بل هو الخلق والحكم والتقدير
وقد يجاب بان الرضى بالكفر من حيث انه من قضاء الله تعالى طاعة
ولا من هذه الحيثية كفر وفيه نظر اذ الرضى بالكفر كفر شرعا من اي
حيثية كان قلنا مثل السادس لا بان الاشياء هذه بنفي ارادته تعالى
للقبائح وبالتوبيخ والرد على من يقول بذلك كقوله تعالى وما الله
يريد ظلما للعباد وما الله يريد ظلما للعالمين ان الله لا يامر
بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر والله لا يحب الفساد وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما
اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء الاية وذلك ان الله تعالى ذم
المشركين ووبخهم على ادعائهم ان الكفر بمشيئة الله تعالى وعذبهم
واباءهم في ذلك وعاقبهم عليه وحكم بانهم يتبعون فيه الظن دون
العلم وانه كذب صراح والجواب انه لا يتصور منه الظلم لان ما يفعله
بالعباد تصرف في ملكه فالاتيان نفي للظلم بنفي لازمه اعني
الارادة لان ما يفعله القادر المختار لا يكون الا مرادا وليس فيهما
انه لا يريد ظلم زيد على عمرو ولظهور ان المعنى على انه لا يريد ظلما منه
واما نفي الامر والرضى والمحبة فلا نزاع فيه لما بين المحبة والرضى من الاستحسان
وترك الاعتراض وارادة الانعام فهو يريد كفر الكافر ويخلقه ومع هذا
يبغضه وينهاه عنه ويعاقبه عليه ولا يرضاه واما ذم الله المشركين
فلقصدهم بذلك الهزو والسخرية وتمهيد العذر في الاشراك
كما اذا قال القدري استهزاءً بالسني وقصدا الى الزامه لو شاء الله
رجوعي الى مذهبكم وخلق في عقائدكم رجعت والدليل على ذلك
انه تعالى قال كذلك كذب الذين من قبلهم فجعل مقالتهم تكذيبا لا كذبا
ورتب عذابه الا على تكذيبهم لا كما زعم المستدل ولهذا اصرح في
اخر الاية بنفي مشيئة هدايتهم وانه لو شاء لفعل اي بعينه ازالة للوهم

الذي

الذي ذهب اليه المستدل السابع قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون دل على انه اراد من الكل الطاعة لا المعصية ورد بعد تسليم
دلالة الغرض على كون ما بعدها مرادا بمنع العموم للقطع بخروج من مات
على الصبا والجنون فليخرج من مات على الكفر ولو سلم فليس المقصود
بيان خلقهم لهذا الغرض بل بيان استغنائه تعالى عنهم وافتقارهم
اليه بدليل قوله تعالى ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون فكانه
قال ما خلقتهم لينفعوني بل لامرهم بالعبادة او ليتبين للتوالي امالا
بالنسبة الى المطيع فظاهر واما بالنسبة الى العاصي فلشهادة
الفطرة على انه لله وان تخرص وافترى كذا في الارشاد لامام الحرمين
وذهب كثير من اهل التاويل الى ان المعنى ليكونوا عبادا لي فتكون
الاية على عمومها على انها يعارضها قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم
كثيرا من الجن والانس وقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وحمل
اللام للعاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم
عدوا وحزنا انما يصح في فعل من يجهل العواقب فيفعل لغرض فلا
يحصل ذلك الغرض بل ضده فيجعل كانه فعل الفعل لهذا الغرض
الفاسد تنبيها على خطائه وكيف يتصور في علام الغيوب ان يفعل فعلا
لغرض يعلم قطعا انه لا يحصل ضده والعجب من المعتزلة كيف لا يعدون
ذلك سفها وعبثا الثامن قوله تعالى كل ذلك كان سيئة عند
ربك مكروها جعل المنهيات مكروهة فلا تكون مرادة لان الارادة
والكراهة ضدان ورد بعد تسليم كونه اشارة الى المنهيات الواقعة
ليلزم كونها اشارة بان المعنى انها مكروهة عند الناس وفي مجاري
العادات لا عند الله تعالى ليلزم المحال واما جعل المكروه مجازا عن
المنهي فلغو من الكلام لكونه تلك اشارة الى المنهي هذا ما يتعلق بالمبني
واما ما يتعلق بالمبني عليه فاعلم ان جعل القوم الحسن والقبح
العقليين من مباحث افعال الباري مع انها لا تتصف بالحسن والقبح
بالمعنى الذي نذكره اعني المامور به والمنهي عنه نظرا الى انهما
بخلقه ومن اثار فعله والى انهما بتفسير الخصم متعلقان بافعال
الباري اثباتا ونفيا وقد اشتهر ان الحسن والقبح عندنا
شرعيان وعند المعتزلة عقليان وليس النزاع في الحسن والقبح بمعنى
صفة الكمال والنقص كالعلم والجهل ولا بمعنى الملايمة للغرض وعدمها
كالعدل والظلم وبالجملة كل ما يستحق المدح او الذم في نظر العقول
ومجاري العادات فان ذلك يدرك بالعقل اتفاقا ورد الشرع ام لا
وانما النزاع في الحسن والقبح عند الله تعالى بمعنى استحقاق فاعله

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)